العلاقات السياسية بين البابوية والإمبراطورية وأثرها في قيام الحملة الصليبية الأولى

دكتور/ عبد المعز بني عيسى
قسم التاريخ – كلية الآداب - جامعة اليرموك
دكتور/ قاسم غنيمات
قسم التاريخ – كلية الآداب - جامعة البلقاء التطبيقية

مقـــــدمـــــة:

اتسمت العلاقات ما بين باباوات الكنيسة الكاثوليكية في روما، وبـــين أبـــاطرة الغرب الأوروبي بالمتأرجحة ما بين الطابع الودي القائم على الاحترام المتبادل بين الطرفين، وعدم التدخل في شئون الآخر من جهة، وبين التنافس والصراع من أجل قيـــادة العـــالم المسيحي من جهة أخرى، لاسيّما في الفترة التي تسلّم بها جريجوري السابع عرش البابوية، فأعلن الحرب على الإمبراطور الألماني هنري الرابع. فجاءت هذه الدراسة للكشف عـــن طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين رأس السلطة الزمنية في أوروبا الغربيـــة، ونظـــيره الديني بابا روما، ودورها في قيام الحملة الصليبية الأولى، وإرسالها إلى الشرق الإسلامي.

تناولت الدراسة العلاقات ما بين الإمبراطورية على عهد شارلمان وبين البابوية، ثم تحدثت عن الفراغ السياسي الذي شهدته بلدان غرب أوروبا بعدة وفـــاة الإمبراطـــور شارلمان، الأمر الذي مهدَّ الطريق أمام قيام النظام الإقطاعي، نتج عن تفتيت الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وتحولها إلى عدة ملكيات إقطاعية متناحرة فيما بينها، نجح باباوات روما في استقطاب الكثير من أبنائها المحاربين، وتحويل نشاطهم العسكري نحو أعداء المسيحية. وأخيراً بينت الدراسة الصراع بين البابوية والإمبراطورية الألمانية على عهد هنري الثالث، وابنه هنري الرابع الذي خلفه في الحكم من بعده، وأشارت الدراسة إلى إعلان البابويـــة الحرب على الإمبراطور الألماني، تلك الحرب التي تحولت فيما بعد إلى حـــرب مقدســـة وجهها البابا أوربان الثاني ضد العالم الإسلامي سنة ١٠٩٩م.

دخلت أوروبا في فترة مظلمة خلال القرنين التاسع والعاشر المـــيلاديين، وذلـــك نتيجة لتفكك إمبراطورية شارلمان، وفقدان السلطة المركزية لنفوذها، وهيبتها على مسرح السياسة الدولي واختلال النظام السياسي الأوروبي[1].

العلاقات ما بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية:

ساد الطابع الودي العلاقات ما بين الإمبراطور شارلمان (٧٦٨ – ٨١٤م)، ونظيره البابا ليو الثالث (٧٩٥ – ٨١٦م). بسبب: المواقف المؤيدة من قبل شارلمان للبابا هادريان الأول لاسيما في الوقوف أمام هجمات اللومبارديين على الأراضي الكنسية التابعة للبابا، وكذلك تقديم وثيقة جديدة لبابا روما، منحه فيها مقاطعة توسكانا، وجزيرة كورسيكا، ودوقية سبوليت، ودوقية بينفيان (في إيطاليا)، وقد أراد شارلمان من وراء ذلك إيجاد حليف قوي له في إيطاليا[٢]. واستمرت هذه العلاقات الودية في عهد البابا ليو الثالث، حيث سارع إلى إرسال مندوبين يحملون أعلاماً، ومفاتيحاً لكنيسة القديس بطرس، كدلالة على الاعتراف بشارلمان قائداً للكنيسة الكاثوليكية في روما[٣]، ثم قلّده البابا عرش الإمبراطورية، وألبسه التاج في يوم عيد الميلاد سنة ٨٠٠م، وهو يصلي راكعاً أمام ضريح القديس بطرس، وهتف الشعب الروماني حينها قائلاً: " الحياة والنصر لشارل المجيد، الذي توجّه الرب على الرومانيين امبراطوراً عظيماً ومحباً للسلام". وأراد البابا بذلك العمل بعث الإمبراطورية الغربية من جديد[٤].وقد قام البابا ليو الثالث بتتويج شارلمان على عرش الإمبراطورية نتيجة دوافع عديدة نذكر منها:- تشكيل قوة سياسية وعسكرية تساند البابا في مواجهة أعدائه اللومبارديين وتوجيه ضربة للإمبراطورية البيزنطية الشرقية، بجعله منافساً لها في الغرب، الأمر الذي يجعل الطرفين يسعيان إلى مخاطبة ود البابا، فيدعم نفوذه على حسابهما، حتى يتمكن من وضع القوى السياسية في أوروبا تحت سلطته. ومن الدوافع أيضاً رد المعروف إلى شارلمان، بعد المساهمة بتبرئته في المحكمة بتهمة الزنا التي التصقت به من قبل أقرباء البابا السابق وكمحاولة من البابا لشغل الفراغ السياسي الذي وجد في الغرب الأوروبي في الفترة ما بين عامي (٤٧٦و ٨٠٠م)، وهذا ما جعل بعض مؤرخي أوروبا يعتقدون بأن عام ٨٠٠ م هو بداية للعصور الوسطى الأوروبية[٥] كما سعى البابا من وراء ذلك

التتويج إلى إعادة وإحياء الإمبراطورية الرومانية الكبرى، وجعل شارلمان حليفاً قوياً لكنيسة روما من أجل[٦]، حماية الكنيسة الكاثوليكية، والدفاع عن الشعب المسيحي من غارات الوثنين، وهذا ما جعل البابا يطلق عبارة (حماة الكنيسة الرومانية) على الكارولنجيين (الشارلمانيين). وقد اتضحت سياسة شارلمان من خلال رسالته إلى البابا ليو الثالث قائلاً: " إن مهمتي في أن أدافع في كل مكان عن كنيسة المسيح. في الخارج، بالسلاح ضد أعمال التخريب"[٧] .

أن عملية التتويج كانت بداية للتحكم البابوي في شؤون الإمبراطورية الرومانية المقدسة الداخلية والخارجية، وفيما يتعلق بتأسيس الإمبراطورية فقد سعى شارلمان إلى الجمع ما بين النظامين الجرماني المتمثل بالرؤساء والدوقات، وبين النظام الروماني التقليدي للمركزية الممثل بالنظام الكنسي [٨] . فالدين في حروب شارلمان كان وسيلة للفتح والاضطهاد، وكانت المبادرة على الدوام بيد الإمبراطور. في حين لم يكن دور البابا يتجاوز الدعاء. واتضح ذلك من خلال مخاطبة شارلمان للبابا ليو الثالث قائلاً: " إن مهمتك ، أيها الأب المقدس، هي أن ترفع يديك إلى الرب كموسى لضمان انتصار جيوشنا ... "[٩]

تعرضت إمبراطورية شارلمان بعد وفاته سنة ٨١٤م إلى الضعف في عهد خليفته في الحكم لويس التقي (٨١٤ – ٨٤٠م) بعد أن انهارت أمام سلسلة من الصراعات الداخلية، وكثرة الاضطرابات، خاصة وأن الإمبراطور الجديد يتصف بضعف الشخصية، وسيطرة النزعة الدينية عليه[١٠]، كما ساءت علاقاته مع بابا روما الذي اعتبر نفسه حاكماً زمنياً، نتيجة قوة سلطة البابا الروحية. هذا إلى جانب المنازعات بين أفراد العائلة الكارولنجية التي ينتسب إليها الإمبراطور[١١].

لعب تقسيم أراضي الإمبراطورية إلى ثلاثة ممالك مستقلة حسب ما جاء في معاهدة فردان سنة (٨٤٣م) بين أبناء لويس التقي، في انهيار وتفكك الإمبراطورية التي أسسها شارلمان[١٢].أضف إلى ذلك القوى الخارجية التي استولت على أجزاء من إمبراطوريته، كالشعوب السلافية التي عبرت من

الشرق، وأخضعت مناطق البلقان ومقدونيا، وأجزاء من بلاد اليونان وروسيا وشرق ألمانيا[١٣]. هذا ناهيك عمّا قامت به الشعوب الهنغارية من عمليات قتل وتخريب في مناطق اللورين[١٤] وبرجنديا[١٥] وذلك بعد استيلائهم على مناطق شمال إيطاليا (البندقية ولومبارديا) سنة ٨٩٩ م، ثم اقتحامهم مناطق مورافيا والساكس وبافاريا في بدايات القرن العاشر الميلادي حتى امتدت إلى بلاد المجر.

عانت الإمبراطورية من الخطر الإسلامي الذي تمثل بالسيطرة على حوض البحر المتوسط، وكثرة هجمات المسلمين على جزر البليار، وكذلك تهديدهم لمدن روما والجنوب الإيطالي في عهد الإمبراطور لويس الثاني (٨٥٠ – ٨٧٥م) ومن جاء بعده، وقيامهم بتخريب كنيسة القدس بطرس [١٦].

تعرضت الإمبراطورية أيضاً إلى خطر الفايكنج (Vikings)[١٧] الذين هاجموا مناطق ايسلندا وإنجلترا وإيرلندا وألمانيا والدنمارك وفرنسا، ووصلت غاراتهم إلى حدود العاصمة الكارولجنية باريس سنة ٩٥٨م، الأمر الذي أبكى خلفاء شارلمان، حين شاهدوا تلك الشعوب تبحر مثل الطيور السوداء في بحر الشمال، وينشرون الرعب والخوف بين سكان الإمبراطورية المتفتتة[١٨].

يبدو مما سبق ذكره، أن الأوضاع السياسية و الأخطار التي طوقت جميع أرجاء الإمبراطورية في نهايات العهد الشارلماني، كان لها أثارها السلبية في غياب الوحدة السياسية بين أقطار الإمبراطورية، خاصة بعد ظهور قوى غازية، أدت إلى قيام إمبراطوريات في روسيا، وأنظمة ملكية في إنجلترا، كالتي أقامها الأنجلوسكسون سنة ٨٥٣م[١٩] ، وجعلت من إنجلترا منطقة منعزلة، وممزقة في ظل حكمهم ومنذ زمن طويل[٢٠].

عانت بلدان غرب أوروبا بسبب الهجمات العسكرية المتكررة، وما انتشر فيها من الفوضى السياسية والاضطرابات الاجتماعية، التي أجبرت الكنسية الكاثوليكية فيما بعد إلى عقد عدة مجالس دينية[٢١]، دعت فيها إلى حماية رجال الدين، وممتلكات الكنيسة من شرور القتال، لاسيما بعد قيام الحروب بين

أمراء أوروبا، الذي انتهكوا السلام حسب وجهة النظر البابوية،، فدعت تلك المجالس إلى وقف حمام الدم الذي أغرق المجتمع الأوروبي، نتيجة تلك الحروب الداخلية، التي كان لها الأثر السلبي على زعزعة الأمن والاستقرار داخل مجتمعاتهم. ثم جاءت الدعوة إلى الامتناع عن القتال يومي السبت والأحد، وفي بعض الأعياد المقدسة، أو ما يعرف تحت اسم(هدنة الله) [٢٢].

أشار المؤرخون إلى أن الكنيسة والبابوية ممثلة في البابا ورجال الدين سعوا من خلال الصليب إلى التوفيق بين الأفكار البطولية والعسكرية للفروسية وبين الأيديولوجية المسيحية، فبدأت البابوية في فرنسا بجهودها نحو السيطرة على همجية وفضاضة الفرسان الذين أشعلوا نار الحروب، وكذلك لوردات أوروبا الذين اغتصبوا قوة الملوك، فعملت على الاعتراف بدور الفرسان كمحاربين، من خلال إعطائهم دوراً خاصاً بتوجيههم إلى قتال أعداء الله من المسلمين[٢٣].

ظهور النظام الاقطاعي في ظل غياب الوحدة السياسية في الغرب الأوروبي:

على الرغم من تلك المحاولات لمنع نشوب الحرب داخل المجتمع الأوروبي، بعد اضمحلال إمبراطورية شارلمان، وضعف السلطة السياسية في أوروبا، إلا أن الأعمال العسكرية ظلت مسيطرة، وكامنة في عقول كثير من المحاربين، وأكدت سيطرة الروح القتالية على المجتمع الأوروبي، هذا بالإضافة إلى أن الأساقفة ورؤساء الأديرة كانوا يمتلكون الكثير من الأراضي، والعديد من الفرسان المحاربين، وقادرين على تسليح الوحدات الكنسية في الحملات العسكرية وقيادتها بأنفسهم، وكانوا على استعداد تام من أجل شن عمليات حربية ضد منتهكي السلام، وتحت ما يعرف باسم حركة السلام التي دعت إليها الكنيسة[٢٤]. لذا نجد البابا أوربان الثاني(١٠٨٨ – ١٠٩٩م)، وأثناء خطابه في مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٥م قد أكد على الخروج من مسألة العنف، وسفك الدماء داخل أوروبا إلى قتال أعداء المسيحية، حيث قال : " انهضوا وأديروا

أسلحتكم التي تستعملونها ضد إخوانكم ووجهوها ضد أعدائكم، أعداء المسيحية، إنكم تظلمون الأيتام والأرامل، وأنتم تتورطون في القتل والاغتصاب، وتنهبون الشعب في الطرق العامة، وتقبلون الرشاوى لقتل أخوانكم المسيحيين وتريقون دماءهم، دونما خوف... كالطيور الجوارح، أكلة الجيف التي تنجذب لرائحة الجيف الإنسانية النتنة ضحايا جشعكم، انهضوا إذن و لا تقاتلوا إخوانكم المسيحيين بل قاتلوا أعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس حاربوا تحت راية المسيح" [٢٥].يشير الأسقف يورجيل، إلى أن البابا أوربان الثاني دعا من خلال خطبته إلى نبذ الحرب المارقة التي استفحل أمرها في المجتمعات الأوروبية، وإلى أن يخوضوا بدلاً من ذلك حرب ضد أعداء المسيح. وأن يصبحوا جنود المسيح، ويسارعوا إلى الدفاع عن الأرض المقدسة والكنيسة من الغزاة الأجانب[٢٦].

إن تفكك الإمبراطورية المقدسة بعد موت مؤسسها شارلمان عام ٨١٤م، وغياب السلطة المركزية، واستمرار هجمات المسلمين، والفايكنج مهد الطريق أمام نشوء النظام الإقطاعي[٢٧].

ظهرت الملامح الأولى للنظام الإقطاعي في عهد الإمبراطور شارلمان، حيث منح أتباعه المقربين الاقطاعات الهائلة، والتي انتقلت بالوراثة إلى أبنائهم، الذين كان عليهم تقديم الولاء والطاعة، وإرسال أعداد محددة من الجنود في أوقات الحروب، كنوع من الخدمة العسكرية، وقد كان هذا بمثابة البداية لظهور النظام الإقطاعي، الذي ما لبث أن انتشر في كافة أنحاء أوروبا منذ القرن الحادي عشر الميلادي وخاصة فرنسا[٢٨]. فقد دأب الأمراء والنبلاء في عهد شارلمان إلى تقسيم الأراضي الزراعية، وإسناد العمل فيها إلى الفلاحين والعبيد، وعرف هذا النظام (بالمانسات)، الذين استثمروها مقابل بعض الالتزامات تجاه الملاّك، وكانت هذه الالتزامات على نوعين:

١- توفير الموارد اللازمة لإعالة بيت المالك من قطع نقدية، ومقدار من المحاصيل الزراعية، وبعض الصناعات النسيجية والأدوات الخشبية.

٢- المساهمة في استثمار الاحتياطي من خلال زراعة قسم صغير منه لصالح المالك، بوضع نفسه تحت تصرف المالك عدداً من أيام لسنة من أجل المساهمة في الأعمال الزراعية[٢٩].

تألف النظام من: السيد الإقطاعي الذي يملك مساحات كبيرة من الأرض، وحتى يوفر الحماية التامة لممتلكاته، جمع حوله عددا من الفرسان، وقام بتوزيع الأرض عليهم، مقابل حمايتها، ومساعدة السيد في حروبه مع السادة الإقطاعيين الآخرين، مع تقديم حق الضيافة إلى جانب خدمات أخرى. وإلى جانب الفرسان، وجد الأقنان أو ما يسمّوا بعبيد الأرض، الذين سخَّروا للقيام بأعباء ومسؤوليات جمّة تفوق طاقاتهم، مثل العمل في فلاحة أرض السيد[٣٠]. وقد شكل الأقنان قطاعاً هاماً من سكان الريف الأوروبي عشية الحملة الصليبية الأولى.

أعطى هذا النظام السيد الإقطاعي حقوقاً قضائية على حساب سلطة الملك المركزية[٣١]، وإن كانت الهيئة المكونة من كبار الإقطاعيين مثل الأساقفة ورؤساء الأديرة، والكونتات والبارونات والفرسان، تدين للملك بالاحترام، والذي يعد كبير ملاك الأراضي، إلا أن الأخير ملزم بالرجوع إلى استشارة أفراد تلك الهيئة في كافة الأمور الهامة[٣٢]. وعلى أي حال فقد كان حال الوضع السياسي في فرنسا آنذاك يعبر عنه بالفكرة القائلة" الأرض دون سيد إقطاعي". خاصة وأن النبلاء الإقطاعيين في تلك الدولة الإقطاعية كانوا يتطلعون إلى توسيع رقعة ممتلكاتهم على حساب الملكية السائدة في فرنسا[٣٣]، لذلك أصبحت السلطات المحلية فيها على زمن الملك هنري الأول (١٠٣١ – ١٠٦٠م) في يد الحجاب الذين ينوبون عنه في إدارة أراضيه الخاصة.

امتدت أيادي النبلاء إلى أراضي الأديرة في سائر أنحاء أوروبا ، وتحكّم الأقوياء بالضعفاء، وسلبوهم حرياتهم مقابل حمايتهم في عالم تسوده الفوضى السياسية، والتي امتدت بدورها إلى البابوية، بعد أن استشرى في أوصالها الفساد،

ومثال على ذلك أن ربة بيت أحد البابـاوات، وتدعى (ماروزيا)" أسندت شؤون الحكم إلى ابنها الشرعي، وحفيدها بابليون على التوالي، ويقال أنها قد رتبت مقتل أحد الباباوات كذلك، فحفيدها(يوحنا الثاني عشر) قد تم خلعه على يد الإمبراطور (أوتو الأول) سنة ٩٦٣م، ذلك لأنه عين أحد (الشمامسة) في المكان غير مناسب حيث قام بتحويل القصر البابوي إلى بيت للدعارة، كما أخصى أحد (الكرادلة) ، وشرب الخمر في صحة الشيطان، وطلب العون من الألهة (جوبيتر) ، وفينوس أثناء لعبه النرد"[٣٤]. فانعكس هذا الفساد على الكنيسة والبابا نفسه، وعلى دورها في تأدية رسالتها الدينية، و علاوة على ذلك فقد أصبح منصب البابوية نقمة على أصحابه، إذ تعرض الكثير منهم إلى القتل، حيث لم يستمر ثلاثة من البابوات في منصبهم سوى أربع سنوات ونيِّف [٣٥].

ومن نتائج هذا النظام دخول السادة الإقطاعيين تحت سلم الهرم الإقطاعي الذي يعلوه الملك، ويليه عدد من الأمراء الإقطاعيين[٣٦]، وكان لكل واحد منهم تنظيماته العسكرية،أو ما يعرف بالميليشيات التي تعاون رجالاً من ذوي الشأن والمكانة لحساب رجل آخر من منطقة مجاورة، ثم يلي الأمراء الإقطاعيين، طبقة عسكرية تطورت ونضجت عبر أحداث القرون الماضية، وأصبح لها قانون أخلاقي مشترك عن الحدود السياسية للإقطاعيات والدول[٣٧]. لذا ارتبط ظهور طبقة الفرسان في الغرب الأوروبي أشد الارتباط بالنظام الإقطاعي من جانب، وبالحرب وإظهار الشجاعة من جانب آخر، وهذا لا يتأتّى إلا من خلال المشاركة في الصراع الذي كان يدور بين الإقطاعيين في فرنسا وغيرها وكذلك الحروب التي توقفت فجأة في أوروبا بسبب تدخل البابا، عندئذ بحث هؤلاء الفرسان، الماهرين باستخدام السلاح،عن ميادين جديدة يستعرضون فيها بطولاتهم[٣٨]. فكان ذلك دافعاً سياسياً آخر وراء قيام الحملة الصليبية الأولى، إلى جانب تحقيق مجد أكبر، وجاه أعظم من خلال المشاركة في كل الحملات الصليبية، والعمل على تكوين إقطاعات، وأملاك شاسعة في الشرق من قبل الفرسان والأمراء. وقد كان لكل عضو في هذا النظام التزاماته وواجباته تجاه

السيد الإقطاعي[٣٩]. فالهدف من التنظيم الإقطاعي هو التعاون في الحرب، إذ أن هذا النظام يدور حول نشاط أساسي هو القتال إلى جانب الزراعة، حيث كان يكرِّس كل وقته في التعلم على كيفية استخدام السلاح[٤٠]، و حمل الدروع، فكان يُنظر إلى الحرب على أنها مهنة الرجل الراقي، ومبعث الفرح والسرور بالنسبة للفارس الإقطاعي[٤١].

لعب ملك فرنسا خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين،دور السيد على كبار الأمراء الإقطاعيين في الوقت الذي لم يستطع ممارسة هذا الدور على كبار الدوقات والكونتات، أو التدخل في الإقطاعيات الأخرى، فلم يكن صاحب السلطة الحقيقية. ومن الناحية العملية فإن الملك كان من الكارولنجيين، أو من أسرة كابية الإقطاعية ورثة البيت الكارولنجي في السلطة، [٤٢]. فمملكة فرنسا لم تكن سوى تجمع لعدد كبير من الإقطاعيات، لكل منها نظامها وقواها وأطماعها - ولم يكن الملك أكثر من مجرد دوق باريس[٤٣].

أن ضعف سلطة الملك ونمو قوة النبلاء أدى إلى تقربه من البابوية لتوطيد حكمه، كلما تعرض لهزة عنيفة بسبب ما تتعرض له البلاد من مجاعات وكثرة الحانقين من الشعب على النظام، لذلك لا نستغرب أن أكثر المشاركين في الحملة الصليبية الأولى كانوا من الفرنسيين، الذين اعتبرهم الملك من العناصر المشاغبة، فأراد التخلص منهم ودفعهم إلى أراضي أخرى. وهذه السياسة اعتادت على ممارستها فرنسا في حدوث الأزمات[٤٤]. ولذا لم يتردد البابا أوربان، في قيادة عملية الاستقطاب من أجل القيام بالدعوة إلى رحلة تكفيرية عنوانها الحملة الصليبية على الشرق، وذلك في داخل بلده الأصلي فرنسا في الفترة ما بين(آب ١٠٩٥م - أيلول ١٠٩٦م)، وترجمت هذه الرحلة في مجمع كليرمونت[٤٥] الذي حضره حوالي مائتين وخمسة أساقفة، وثلاثة عشر من رؤساء الأساقفة، بالإضافة إلى أعداد كبير من الأمراء والنبلاء وألوف من أتباع الكنيسة[٤٦].

شهد القرن الحادي عشر الميلادي أيضاً ظهور قادة، وزعماء كبار في باقي مناطق أوربا الغربية، فمنهم من أرسى قواعد النظام الإقطاعي في بلاده مثل ملك انجلترا وليم الأول، الملقب بالفاتح (١٠٦٦ – ١٠٨٧م) [٤٧]، حيث امتلك كافة الأراضي الزراعية، وقام بتوزيع الإقطاعات على أتباعه المخلصين من أساقفة ورؤساء الأديرة، والبارونات وغيرهم، كمستأجرين، مقابل تأمين الملك بخمسة آلاف من الفرسان يبقون تحت أمره. وكان وليم ينظر إلى تلك الاقطاعات على أنها وحدات للدفاع عن مملكته، وحتى يضمن تدعيم حكمه ، أمر بتشييد عدد من القلاع العسكرية في شتى أرجاء إنجلترا منذ أن كان يتمتع بمنصب الدوق. كما أشرف على عمليات التجارة البحرية وسك العملة، وعقد المحاكمات في الأمور القضائية، وإعلانه لحالة التعبئة العامة في حالة الحرب. ويعاونه أتباعه من الإقطاعيين كمشرفين على القلاع ونواب للإدارة العسكرية والقضائية والمالية في الأقاليم المحلية[٤٨].

وفي الجنوب الإيطالي الذي يسيطر عليه النورمانديون تشكلت قوة عسكرية بعد ظهور القائد (روبرت جويسكارد)، الذي باتت جيوشه تشكل خطراً على ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، فأسقط منطقة البلقان بتأييد من البابا، وحاول ابنه بوهيموند فيما بعد السيطرة على أنطاكية. كما صاحب ظهور هذه القوة الإيطالية، أسطول بحري تابع لمدينة البندقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط[٤٩].

بينما نجد الملوك من البيت السكسوني في ألمانيا قد أوقفوا محاولات الدوقيات الجرمانية في تحويلها إلى إمارات إقطاعية على غرار ما يحدث في فرنسا، ونجحوا في جعل أمر تعيين الدوق وفقاً للمشيئة المالكة. فيما احتفظ الملك بحق تبعية كبار رجال الدين من الكهنة وغيرهم الإقطاعيين له[٥٠]. كما عمل حكام ألمانيا على إعادة استخدام اللقب الإمبراطوري الذي تلقب به كل من هنري الثالث وابنه هنري الرابع (١٠٥٦ – ١١٠٥) اللذان حاولا إرساء ملكية قوية ومركزية، على الرغم من تمرد الأمراء المحليين، الذي نتج عنه حالة من الإرباك

في ألمانيا خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي[٥١]، انتهت بتحول ألمانيا إلى مجموعة من الإمارات الإقطاعية في أواخر العصور الوسطى، وقد تخلل هذه الحالة، دخول هنري الرابع في صراع مع خصمه البابا جريجوري السابع، الذي أسقط في حساباته مشاركة الإمبراطور في الحملة الصليبية التي يخطط البابا لقيامها[٥٢] .

يتضح مما سبق تزايد عدد القوى السياسية والعسكرية في أوروبا، وتنافسها على اقتسام البلاد فيما بينها، و البحث عن أراضٍ خارج القارة الأوروبية نظراً لعدم اتساعها، وكثرة تضاريسها الجبلية المعوقة صيفاً وشتاءً.

الصراع بين البابوية وبين الإمبراطورية الألمانية:

شهدت العصور الوسطى صراعاً بين البابوات والأباطرة، فالبابا من جهته كان يرى ضرورة الإشراف و التوجيه لسلوكيات المسيحيين بمن فيهم الأباطرة متشبثاً بسلطته الروحية، فيما رأى الأباطرة والملوك في أوروبا أن مسؤولية الكنيسة تقتصر على الشؤون الدينية لا الدنيوية. فالبابوات كان في أيديهم أسلحة ضاغطة على الأباطرة تمثلت بقرارات الحرمان والمنع واللعنة، بينما اعتمد الملوك والأباطرة في قوتهم على الجيوش التي كانوا يمتلكونها[٥٣].

تسلم عرش الإمبراطورية الألمانية في القرن العاشر الميلادي الدوق أوتو حاكم مقاطعة سكسونيا[٥٤](Otto of Saxony)، بعد أن أحرز الانتصارات العسكرية على شعوب البلدان السلافية والبوهيمية والمجرية، فاستنجد به البابا يوحنا الثاني(٩٥٥ – ٩٦٣م) في حرب اللومبارديين سنة ٩٢٦م[٥٥]. ونتيجة لخدماته أعلنه البابا إمبراطوراً، فعمل على استعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية في الغرب كما كانت على عهد شارلمان. إلا أن خلفاءه من الأباطرة وعلى رأسهم هنري الرابع ملك الألمان وإمبراطور الرومان، سرعان ما دخل في صراع مع البابا جريجوري السابع الذي اعتبر نفسه الحاكم الفعلي لمملكة المسيح على الأرض[٥٦]. وحاول البابا جريجوري السابع تكوين قوة عسكرية تابعة له، سميت بميلشيات المسيح (Santipetri) ، للقيام بحرب مقدسة ضد هنري الرابع.

وكان البابا جريجوري قد برر استخدام السلاح في هذه الحرب، كحق من حقوق الكنيسة التي من خلالها، ينال الجنود الغفران عن آثامهم وخطاياهم، إذا ما دافعوا عن الكنيسة وحقوقها.[٥٧] فالقتال حسب وجهة النظر الجريجورية حلَّ محل العقوبة المفروضة عليهم من قبل الكنيسة بسبب اقترافهم للذنوب والخطايا الدنيوية[٥٨]. وعند فشل محاولاته في جذب الأنصار لجأ إلى سحب بعض الصلاحيات الدينية من الإمبراطور، كإلغائه التقليد العلماني سنة ١٠٧٥م، الذي كان يتيح للإمبراطور تعيين كبار رجال الدين في الكنيسة من كهنة وأساقفة. وكان البابا من جهته قد اتهم الإمبراطور هنري الرابع ببيع الوظائف الكنسية بدلاً من ترك المنافسة بين رجال الدين الأحرار في الوصول إلى تلك المناصب، وقيامه بتعيين الكثير من رؤساء الأساقفة غير الأكفاء في تلك الوظائف[٥٩]. تلك السياسة التي اتبعها من قبل الإمبراطور شارلمان، إذ أخضع مراقبة كبار رجال الدين لمفتشي الملك، كما عمل على عزلهم من مناصبهم في الكنيسة الكارولنجية، بموجب قرار صادر من المجمع الديني الذي يرأسه الملك[٦٠].

أطلق الكتاب الغربيين على ما قام به البابا جريجوري السابع تحت ما يسمى بالإصلاح الجريجوري أو (الثورة الجريجورية)، لأجل تدعيم سلطة الكنيسة، فأصدر بناءً على ذلك مرسوماً حددّ فيه هذه السلطة، وتكوّن من ستة وعشرين بنداً، أكدت مفهوم سمو البابوية على الدولة والإمبراطورية[٦١]. حيث أراد البابا من خلال ذلك جعل الخاتم والصولجان في يده، وبذلك يكون قد فرض هيمنته على رجال الدين[٦٢]. وفي المقابل، اعتبر الإمبراطور الألماني هذا الإجراء ضياعاً للحكومة، ومصدراً لنشوء الفوضى السياسية والاجتماعية.

لم يكتف البابا بذلك، فقد وجه له تهديداً بحرمانه دخول الكنيسة في حالة عدم امتثاله للمرسوم الذي أصدره[٦٣]. فدعا الإمبراطور إلى عقد مجمع ديني ضم اساقفه ألمانيا، قرر فيه عزل البابا من منصبه الديني سنة ١٠٧٦م وعين بدلاً منه غيوبورت رئيس أساقفه رافينا وأرسل للبابا قائلاً: " الآن، وبعد أن تمت إدانتك وإنزال اللعنة عليك بالقرار الصادر عن جميع أساقفتنا ومنا، ما عليك إلا أن تتنحى عن الكرسي الرسولي الذي اغتصبته. أترك هذا المكان لشخص آخر يستحق مقعد القديس بطرس، لا يمارس العنف

من وراء ستار الدين، بل يقوم بنشر تعاليم القديس بطرس الصحيحة، أنا هنري الملك بنعمة من الله ومعي كل أساقفتنا، نقول لك: تنحّ، تنحّ وعليك اللعنة الأبدية" [٦٤]. وقد زاد هنري في توجيه الإهانات إلى بابا روما، ومهدداً إياه بتشليحه المنصب البابوي تشليحاً قبيحاً إن لم يتخل عن الأراضي التي اغتصبها[٦٥].

خلقت هذه التصريحات جواً مملؤً بالحقد والكراهية لدى البابا الذي سرعان ما أعلن قرار الحرمان ضد الإمبراطور، و منعه دخول الكنيسة، وقد أيدّه في ذلك كثير من أساقفه وأمراء ألمانيا المعارضين. ولم يتجرأ الإمبراطور هنري الرابع إلى التصريح بعباراته القاسية، إلا بعد أن أقدم البابا على إهانة رسله. ويضيف أحد الكتّاب على هذا الحدث قائلاً: "فلما بلغت هذه الكلمات سمع البابا ثار ثائره وسخط أشد السخط وصب جام غضبه على رسل هنري وحنق حنقاً استهله بالأفحاش أمام السفراء فسب مولاهم، ثم جزّ شعر رؤوسهم بالمقص وحلق أذقانهم بالموس .. وطردهم من حضرته"[٦٦] فكان لهذه المعاملة القبيحة التي عومل بها رسل هنري، أثر في الإيذان بحرب ضروس أخذ البابا يعد العدة لها، فتوجه إلى التحالف مع روبرت جيسكارد، ووعده بتنصيبه ملكاً على إمبراطورية الرومان، ثم كاتب لاندولف زعيم السكسون، وتحالف مع دوق بافاريا (ألمانيا) وأعطاهم الوعود بتتويجهم ملوكاً في الغرب الأوروبي بأجمعه، كل ذلك مقابل دعمهم له في حربه ضد الإمبراطور الألماني، تلك الحرب التي خلفّت وراءها نحو ثلاثين ألف قتيل[٦٧]،أجبرت هنري الرابع على طلب رضا البابا خلال اللقاء الذي تم بينهما في إيطاليا[٦٨].

اعتبر الكثير من الألمان الثائرين أن قرار البابا بالصفح عن الإمبراطور، فأعلنوا الانسحاب من حلف البابا، ، ثم قتل الزعيم السكسوني (لاندولف) حليف البابا الأمر الذي أعطى هنري نصراً سياسياً مكنه من العودة إلى السيطرة على الإمبراطورية من جديد ، فعاد إلى روما وحاصر البابا، الذي طلب بدوره المساعدة العسكرية، من روبرت جسكارد، فأجابه بكتاب قال فيه:" لقد علمت ما قيل من أن أعداءك شنوا عليك هجوماً لكني لم ألق بالاً إلى ذلك الخبر لعلمي

أن ليس هناك من أحد يجرؤ على رفع يده في وجهك أو يجرو على مهاجمة أب كبير مثلك إلا أن يكون مجنوناً. وأحب أن تعلم أني أسلِّح نفسي لشن حرب أخرى على أشر أمة موجودة. إذ أن حربي إنما هي حرب ضد الرومان ... أما فيما يتعلق بك أنت فإنني أدين لك بالطاعة الصادقة... "[٦٩].كما لجأ البابا إلى طلب المساعدة من النورمانديين القاطنين في الجنوب الإيطالي، فأمده الحاكم النورماندي بجيش تمكن من طرد الإمبراطور هنري من روما، وانتهى الصراع العسكري بين الإمبراطورية والبابوية، بعد وفاة البابا جريجوري السابع، فيما استمر الخلاف حول مسألة التقليد العلماني بين الأباطرة والبابوات حتى عام ١١٢٢م، وذلك بعد أن توصل الطرفان في إتفاقية (ورمز) إلى تنازل الإمبراطور عن هذا الحق لصالح الحكام العلمانيين [٧٠].

نستنتج مما سبق أن الإمبراطورية الألمانية قبيل الحروب الصليبية كانت منشغلة في صراعاتها الداخلية والخارجية، مما أدى إلى ضعف دورها السياسي على الساحة الدولية في غرب أوروبا[٧١]. لذا نجد أن البابا أوربان الثاني كان يطمح، من خلال دعوته إلى الحروب الصليبية في مجمع كليرمونت، إلى امتلاك قوة جماهيرية في أوروبا، وخاصة فرنسا، واستخدامها في الصراع ضد الإمبراطورية، حتى يتمكن من العودة إلى روما بابا معترفاً به ومنتصراً في الوقت نفسه[٧٢].

في إنجلترا استطاع الملك وليم الفاتح الذي ينحدر من أصول نورمانية من فرض السلام على التوليفة غير المستقرة من السكان الذين تكونوا من (الأنجلوا – سكسون)، والنورمان ذوي الأصول الدانماركية[٧٣]، وذلك بعد التخلص من الزعامة الأنجلو سكسونية، ووصوله إلى عرش إنجلترا، وتتويجه ملكاً على الإنجليز سنة ١٠٦٦م، وينظر المؤرخون إلى وصول النورمان إلى إنجلترا، على أنه غزو فرنسي حضاري ، أنهى عزلة إنجلترا عن بقية مناطق القارة الأوروبية، هذا وقد حققت فترة حكمه الأمن والنظام لإنجلترا. فيما عادت البلاد لتعاني من جديد حياة الفوضى السياسية في عهد خلفائه من الحكام[٧٤]. هذا وقد نظر بارونات

أوروبا في الحركة الصليبية، تحقيق فرصتهم الذهبية من أجل انتزاع مقاليد الحكم والسيادة لأنفسهم، وكذلك العمل على تأسيس الممالك الخاصة بهم في المشرق، ونذكر على سبيل المثال (بودوان الأول **Baudouim I**): وبوهيموند **(Bohemond)**، وغيرهم(٧٥).

أما في إسبانيا فقد كانت جميع الممالك المسيحية في الشمال في حالة حروب مستمرة مع المسلمين في الأندلس؛ واتخذت تلك الحروب صفة الحرب المقدسة، التي استنزفت جميع الموارد الإسبانية، وأبعدت الطبقة الحاكمة في إسبانيا عن المشاركة في الأحداث التي شهدتها أوروبا بصفة عامة، والمساهمة في الحملة الصليبية الأولى بصفة خاصة(٧٦).

استغل البابا الظروف التي تمر بها إسبانيا فبادر إلى التدخل في شئون الحكم داخل إسبانيا، منذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي بهدف القضاء على النفوذ الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبرية، وبسط نفوذها الديني على ذلك الجزء من أوروبا. فقد حث البابا جريجوري السابع (١٠٧٣ – ١٠٨٥م) ملوك وأمراء المسيحية في أوروبا إلى إرسال إمدادات عسكرية إلى إسبانيا نجدة لسكانها ضد المسلمين المتواجدون في الأندلس.

وكان البابا أوروبان الثاني كثيراً ما يستصرخ الشعوب المسيحية من أجل جمع السلاح، والاستعداد لتحرير مسيحيي شبه الجزيرة الأيبيرية، ومسيحيي الشرق الواقعين تحت الحكم الإسلامي(٧٧). وتبنّى أيضاً الحرب ضد المسلمين في إسبانيا، وفي هذا الصدد يقول البابا أوربان الثاني مخاطباً أبناء الديانة المسيحية في أوروبا: " بما أنكم يا أبناء الرب قد وعدتموه بحفظ السلام فيما بينكم، وأن تخلصوا في الحفاظ على حق الكنيسة المقدسة أكثر من ذي قبل، فإنه ما يزال أمامكم، يا من بعثتم الإصلاح المقدس حديثاً مهمة عاجلة منوطة بكم، وتتعلق أيضاً بالرب، ومن خلال هذه المهمة يمكنكم الكشف عن قوة إرادتكم وحسن

نواياكم، إذ يجب أن تقوموا بمساعدة إخوتكم المسيحيين في الشرق، فهم يحتاجون إلى مساعدتكم طالما طلبوها "[٧٨].

لاقت تلك السياسة البابوية، استحساناً من قبل مسيحيي إسبانياً خاصة في ممالك الشمال الإسباني (نافار، وقشتالة وليون وأرجون)، بعد أن وعدهم البابا بالتكفير عن خطاياهم نتيجة قتالهم المسلمين أعداء المسيحية، وكان البابا الكسندر الثاني (١٠٦١ – ١٠٧٣م) أول من منح المسيحيين الذين يقاتلون في إسبانيا العفو بالتكفير عن خطاياهم، وكان ذلك في سنة ١٠٦٣م[٧٩]. وقد نتج عن ذلك ازدياد تدخل البابوات في إسبانيا، والإمساك بزمام الأمور، وأحكموا قبضتهم على الممالك المسيحية في شمال إسبانيا، مستغلين انشغال حكامها بالحرب ضد المسلمين في الأندلس، التي أضعفت من سلطتهم السياسية، إلى جانب تدخل البابوية في شؤونها الداخلية [٨٠].

وفي باقي مناطق أوروبا الغربية أعلن البابا عن الحرب المقدسة، التي وصفها (توماس أرنولد) بأنها حركة روحية أوضحت نفسها بنظام روحي، وهي حرب عادلة حسب وجهة نظر رجال الدين، ومن خلالها تحدد مصائر الشعوب في العالم المسيحي، الذي وحدّت جميع قواه تجاه ألدّ أعداء النصرانية[٨١]، التي استغلتها البابوية كفرصة للمشاركة في تلك الحروب، والإشراف عليها من أجل تحقيق هدفها في السيطرة على العالم المسيحي في الغرب الأوروبي والشرق الإسلامي [٨٢].و قد نجح البابا بتوظيفها في حشد الجموع من أجل محاربة العالم الإسلامي فيما بعد، كما جاء ذلك في كتابات (فليش):" أن العالم الغربي، بأمر من البابا، يكرّس كل قواه لمحاربة العالم الإسلامي، لقد ولدت فكرة الحملات الصليبية"[٨٣].

أسفرت جهود البابا عن خروج ملوك أوروبا في الحملات الصليبية إلى الشرق الإسلامي، بسبب وقوعهم تحت ضغوط البابوية، التي تمتعت آنذاك بنفوذ كبير، فليس باستطاعة أي ملك أوروبي أن يقف في وجه التيار البابوي، وإلا كان

الحرمان، والطرد من الكنيسة نهايته، وبالتالي فقدان عرشه[٨٤]. وما الحملات الصليبية التي دعا إليها البابا، إلا استغلالاً للفرصة في تعزيز سلطته الدنيوية، ولم تكن تلك الحملات منذ بدايتها إلاّ تعبيراً عملياً عن الفكر البابوي، في زعامة العالم المسيحي[٨٥].

لم يقتصر الأمر على الملوك، فقد كان للأمراء الأوروبيين أطماعاً سياسية وراء مشاركتهم في الحملة الصليبية، وكان معظمهم ممن لا يملكون اقطاعات في بلادهم حسب نظام الاقطاع الذي يورِّث الابن الأكبر، فخرجوا إلى الشرق تلافياً لحدوث الصراعات بينهم[٨٦].

الخـــــاتمـــــــة

رغم الظروف القاسية التي شهدتها بلـدان أوروبـا عشـية الحملـة الصـليبية الأولى، إلا أن المسيحية بدأت تطل على العـالم الأوروبي منـذ سـنة ألـف ميلاديـة، بثوب جديد ومغاير لما شهدته بلدان أوروبا في القرون السـابقة. فالعـالم الغـربي قـد تجاوز أخطاره الداخلية والخارجية، وحقق نوعـاً مـن الوحـدة السياسـية، أفـرزت قيام الكثير من الدول الحديثة، حيـث تعـد هـذه السـنة نقطـة تحـول في تـاريخ الأوروبيين، إذ سرعان ما استجمعت بعض دول أوروبا الغربية قواهـا مـن جديـد ، وأخذت تتجه في توسعاتها نحو الشرق، فسيطر الألمان على منـاطق السـلاف، وغـزا النورمانديين، وشعوب الشمال الفرنسـي، إنجلتـرا والجنـوب الايطـالي، ثم سـاهموا بالعديد من فرسـانهم في المشـاركة في الحملـة الصـليبية الأولى سـنة ١٠٩٩م، و المتجهة نحو الأراضي المقدسة في فلسطين. وكان حكـامهم يعتـبرون حكـم انجلتـرا كإقطاع من البابوية، فشاركوا في تلك الحملة التي كان يرغـب مـن خلالهـا البابـا السيطرة على العالم برمته بما فيه بلدان الشرق الإسلامي. وما الحـرب الحاليـة الـتي أعلنها الغرب على العالم الإسلامي تحت مسـمى (محاربـة الإرهـاب)، إلا اسـتمرارا لمسلسل الحروب الصليبية الذي بدأ حلقاته البابا أوربـان الثـاني، وإن كـان هنـاك اختلاف في المصطلحات والمفردات. وتستمر أحـداث المسلسـل في تقـويض العـالم الإسـلامي، وطمـس الهويـة الإسـلامية بباعـث ثقـافي آخـر فرضـته الثقافـة الصهيوأمريكية على العالم الإسلامي، من أجل تحقيـق المشـروع الصـهيوني في إقامـة دولة إسرائيل الكبرى الأمر الذي يؤكد استمرارية النزعـة الاسـتعمارية لـدى العـالم الغربي تجاه الشرق الإسلامي.

الهوامش:

١ - برجاوي، سعيد أحمد، الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤، ص ٧٠. المعاضيدي، خاشع وآخرون، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي د. ن، الموصل، ١٩٨١م ص ٢٠.

٢ - زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية؛ تأليف وتحقيق و ترجمة: سهيل زكار، د. ن، دمشق، ١٩٩٥م. ج٣، ص ١٠٤٢ –١٠٤٣؛ ماستناك، السلام الصليبي (الجماعة المسيحية والعالم الإسلامي والنظام السياسي العربي)؛ ترجمة: بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٠٤.

٣ - زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٤٨.

٤ - الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)؛ ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠. ج١، ص ١٧؛ عمران، محمود سعيد، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٨م، ص ١٩

٥ - زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٥٠. .

٦ - زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٤٩ – ١٠٥١؛ تتويج شارلمان إمبراطوراً ونتائجه، **http://www. halimb.ba7r.org.p.1**

٧ - عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ص ١٩ماستناك، السلام الصليبي، ص ١٠٤ – ١٠٦.

٨ - بيشوب، موريس، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى؛ ترجمة: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٣٢.

٩ - ماستناك، السلام الصليبي، ص ١٠٨.

١٠ - زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٥٥.

١١ - زكار الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٥٦ – ١٠٥٧.

١٢- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٥٨ – ١٠٥٩، عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ص ٤١.

١٣- بيشوب، تاريخ أوروبا، http://www.en.wikipedia.org.thecrusades.p.3

١٤- اللورين: اقليم يقع في الجزء الشمالي الشرقي من فرنسا، يحدّه بلجيكا ولو كسمبورغ وألمانيا شمالاً. أنظر: البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، مج٢، ص ١٠٤٢.

١٥- برجنديا: إقليم في شرق فرنسا،، وتنقسم برجنديا الآن إدارياً إلى أربع مديريات، وهي بلاد زراعية خصبة وتشتمل على المرتفعات في الشمال والجنوب. ومن مدنها: أوتن وأوسير وبون وغيرها. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال،دار الشعب القاهرة، ١٩٦٥،، ص ٣٤٥.

١٦- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٦٠، ١٠٦٣ ، بيشوب، تاريخ أوروبا، ص٣٦.

١٧- الفايكنج: جماعة من القراصنة الجرمانيين التي كانت تسكن مناطق شبه جزيرة اسكندنافية وشبه جزيرة الدانمرك وأطلق على تلك العناصر اسم سكان الفيوردات. وقد غزت هذه الجماعات مناطق أوروبية في الفترة ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين أنظر: زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٨٩؛ البعلبكي، موسوعة المورد، مج٢، ص ٨٣٣.

١٨- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٨٩،١٠٩٣، ١٠٩٧، بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٣٧.

١٩- بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٤٠؛

http://www.en.wikipedia.org.thecrusades.p .

٢٠- بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٤١.

٢١- باركر، أرنس، الحروب الصليبية؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٢.

٢٢- الشارتري، فوشيه، الاستيطان الصليبي في فلسطين؛ ترجمة: قاسم عبده، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٧٩؛ كينيث، سيتون، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: سعد عبد الله البيشاوي، بيت المقدس للنشر، رام الله، ٢٠٠٤، ص ٣٤؛ ماستناك، السلام الصليبي، ٢٠

http://www.en.wikipedia.org.thecrusades.p.3؛
France, John victory in the East, Cambridge university press, combine, 1994, P.7.

23- France, opicit., P. 7- 8

٢٤- سميث، جوناثان رايلي، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية؛ ترجمة: محمد الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩، ص ١٥- ١٦؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص٢٨؛ عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ص ٧٥

٢٥- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١١٨٤؛ ماستناك؛ السلام الصليبي، ص ٦٤ – ٦٥.

٢٦- ماستنك، السلام الصليبي، ص ٦٥ – ٦٦.

٢٧- تتويج شارلمان إمبراطوراً ونتائجه

http://www. halimb.ba7r.org.p2

السرجاني، راغب، الدوافع السياسية الاقتصادية للحروب الصليبية،
http://www.hanein.info.p3 .

٢٨- عمران حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٩ ، بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٣٣؛.

٢٩- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٧٢.

٣٠- ديفز، هـ.و، أوروبا في العصور الوسطى؛ ترجمة: عبد الحميد حمدي محمود، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩١١م، ص ٩٠.

٣١- عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى؛ ص ٦١،كانتور، نورمان. التاريخ الوسيط (قصة حضارة: البداية والنهاية)؛ ترجمة: قاسم عبده قاسم؛ عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج١، ص ٢٧٥- ٢٨٣ ؛ كانتور، العصور الوسطى الباكرة؛ ترجمة. قاسم عبده، عين الدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٣م. ص ٣٣٨ – ٣٣٩؛ كينيث، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٨- ٢٠..

٣٢- ديفز، أوروبا، ص ٨٨ - ٨٩.

٣٣- قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، (الأيديولوجية – الدوافع – النتائج، عين للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٦م ص ٧٠؛ عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ص ٤٧.

٣٤- بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٤٤.

٣٥- بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٤٤.

٣٦- ديفز، أوروبا، ص ٨٩.

٣٧- قاسم ، ماهية الحروب، ص ٥٣؛ سيف الدولة، محمد، ماهية الحروب الصليبية (الظروف التاريخية والدوافع) http://www.moheet.com.p.3

٣٨- عاشور، سعيد أوروبا في العصور الوسطى؛ (طبعة القاهرة ١٩٦١)، ص ٢٤٧؛ كانتور، التاريخ الوسيط، ج١، ص ٢٨١، الدلباني،

www.alhassanin.com.p.2

٣٩- كانتور، التاريخ الوسيط، ج٢، ص ٥٤٢ – ٥٤٩.

٤٠- قاسم، ماهية الحروب، ص ٧٢؛ ؛ سيف الدولة، ماهية الحروب http://www.moheet.com.p.3؛ المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، ج١٦، ص ١٢٥ كينيث، تاريخ الحروب الصليبية ص ١٨.

٤١- قاسم، ماهية الحروب، ص ٧٢.

٤٢- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١١١٤؛ عمران، حضارة أوروبا، ص ٧٧، كانتور، العصور الوسطى، ص ٣٤٢؛.

٤٣- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١١١٤؛ كانتور، التاريخ الوسيط، ج١، ص ٢٨٦؛ السرجاني، الدوافع، http://www.hanein.info,p.3؛ ستيفن: كارل، الإقطاع في العصور الوسطى؛ ترجمة: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، القاهرة؛ د. ت، ص ٥٥ – ٥٦.

٤٤- دوافع الحملات الصليبية، http://www.norklhaq.com.p.4.

45- tyerman,Christopher, the Crusades,(Avery short introduction), oxford university press, new York, 2005. p. 12.13

٤٦- الصوري، تاريخ الحروب الصليبية ج١، ص ٧.

٤٧- ستيفنسن، الإقطاع، ص٥٩.

٤٨- عمران حضارة أوروبا، ص ٤٧؛ بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٦٤؛ سيف الدولة، ما هي الحروب، http://www.mohneet.com.p.2 ؛ ستيفنس، الإقطاع، ص ٦٠- ٦١

٤٩- السرجاني، الدوافع، http://www.hanein.info.p.4؛ أهم أسباب ودوافع الصليبين، http://www.alandilus.com.p.4.

٥٠- ستيفنس، الإقطاع، ص ٦٥.

٥١- سميث، الحملة الصليبية، ص ١٨؛ كاهن، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية؛ ترجمة: أحمد الشيخ: دار سينا، القاهرة،١٩٩٥م، ص ٧٧، ٨٥؛ كينيث، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٦ – ٢٧؛ السرجاني؛ الدوافع http://www.hanein.info,p.4 سيف الدولة، http://www.moheet.com.p.2؛.

٥٢- ستيفنس، الإقطاع، ص ٦٥

٥٣- بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٥٢؛ سيف الدولة، ما هية الحروب،

http://www.moheet.com.p.4 .

٥٤- سكسونيا (سسكس): مقاطعة كبيرة في الساحل الجنوبي الشرقي لإنجلترا، وتنقسم إلى مقاطعتين إداريتين(سسكس الشرقية وسسكس الغربية). أنظر الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، ١٩٩٦م، ج٢، ص ٢٤٨.

٥٥- بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٥٢- ٥٣.

٥٦- الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٧، ١٦٥؛ أنَّا كومنينا، ألكسياد؛ ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٧٠؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١١٨٥، بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٥٣؛ الفاتيكان، الموسوعة الحرة، http://www.wikipedia.org.p.5؛.

٥٧- ماستناك، السلام الصليبي، ص(٤٣) France, victory in theEast,p.8.

58-Cowdrey, H.E.J, marryrdom, and the first crusade, crusade and settlement, university college Cardiff press, 1985, p 48; Housley,Norman crusaders A gainst Christian their opticians and early development, crusade and settlement, university college Cardiff press, 1985, P.18 - 19

٥٩- آناكومنينا، ألكسياد، ص ٧٠. جوناثان، الحملة الصليبية، ص ١٨؛ كلود كاهن، ص ٧٧، ٨٥؛ كينيث، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٦ – ٢٧؛

France, Victory in the East, p.8 .

٦٠- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١٠٨٣.

٦١- الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦٥. سيف الدولة،

http://www.moheet.com.p.4 .

٦٢- الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦٥- ١٦٦. بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٥٤.

٦٣- الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦٦. سميث، الحملة الصليبية، ص ١٨؛ كينيث، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٦ – ٢٧.

٦٤- آناكومنينا، ألكسياد، ص ٧٠؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١١٨٥؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦٦بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٥٥.

٦٥- أناكومنينا، ألكسياد، ص ٧٠.

٦٦- أنا كومنينا، ألكسياد، ص ٧٠.

٦٧- أنا كومنينا، ألكسياد، ٧٢- ٧٣،حرب جرت أحداثها بين قوات البابا جريجوري السابع القيادة الزعيم السكسوني إلاندوف وقوات الإمبراطور الألماني هنري الرابع.

٦٨- سميث، الحملة الصليبية الأولى، ص ١٨، كاهن، الشرق والغرب ص ٨٥؛ بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٥٥.

٦٩- أنا كومنينا، ألكسياد، ص ٧٣.

٧٠- بيشوب ، تاريخ أوروبا ، ص ٥٥- ٥٦.

٧١- سميث، الحملة الصليبية الأولى، ص ١٨؛ كاهن، الشرق والغرب، ص ٨٥، كينيث، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٧.

٧٢- زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ١١٨٦.

73- Maden,Thomas F, the crusades, Black well, USA, 2002 p.55 .

٧٤- بيشوب، تاريخ أوروبا، ص ٦٤ – ٦٥؛ تتويج شارلمان امبرطوراً

http://halimb.ba7r.org.p.3 .

٧٥- كروسية، رنيه، الحروب الصليبية (صراع الشرق والغرب)؛ ترجمة: أحمد أيبش، دار قتيبة، دمشق،٢٠٠٢م، ص ٣٨.

٧٦- رنسيمان، ستيفنس تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس)؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص ١٤٦- ١٤٧؛ كروسيه، الحروب الصليبية، ص ٣٣.

٧٧- الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٢؛ سميث، الحملة الصليبية، ص ٢٩؛ جروسيه، الحروب الصليبية، ص ٣٤- ٣٥؛ رنسيمان، الحملات الصليبية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٤م ج١، ص ١٢٩، ١٥٢ – ١٥٣؛ **France, victory in the East:, p.4**؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص ٥٤.

٧٨- الشارتري، الاستيطان الصليبي، ص ٨٤؛

tyerman,the crusades,p.21

٧٩- عوض، محمد مؤنس، تاريخ الحروب الصليبية، تقديم: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر، رام الله، ٢٠٠٤، ص ٢٨؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص ٥٤، ٥٦. بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني؛ ترجمة: بشير السباعي، عين للدراسات، القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص ٣٣؛ **France, victory in the East. P.8**

٨٠- جوزيف، نسيم يوسف، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص ٤٧؛ كاهن،الشرق والغرب، ص ٧٩؛ سميث، الحملة الصليبية، ص ٤١ – ٤٢؛ **maden,p55.**

٨١- بواعث الحروب الصليبية،

http://www.forums.b-99.com,p.2 .

٨٢- كاهن، الشرق والغرب ص٨٠؛ سميث، الحملة الصليبية، ص ٤٢؛ بواعث الحروب الصليبية

http://www.en.wikipedia.org:thecrusadesp.I .

٨٣- الشارتري، الاستيطان الصليبي، جروسيه، الحروب الصليبية ، ص ٣٣؛ ص٨٥؛ جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة (غزاة بيت المقدس)؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٦٢

٨٤- الدلباني، عبد الله، دوافع الحروب الصليبية،

http://www.alhssanin.com.p.2 .

85- tyerman, The crusades, p.21

٨٦- عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، ص ٦٣؛ بواعث الحروب الصليبية،

http://www.forums.b-99.p.6 .

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر الأجنبية:

١ - أناكومنينا، ألكسياد، ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢ - جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة غزاة بين المقدس؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

٣ - زكار، سهيل ، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية(أوروبا في العصور الوسطى ومراحل وقائع الحروب الصليبية)، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٥م.

٤ - الشارتري، فوشيه، الاستيطان الصليبي في فلسطين؛ ترجمة: قاسم عبده، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م.

٥ - الصوري، وليم ، تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٩٩٠.

ب. المراجع العربية:

١ - يوسف، جوزيف نسيم ، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

٢ - المعاضيدي، خاشع، وسوراي عبد محمد ودريد عبد القادر توري، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي

٣ - برجاوي، سعيد أحمد ، الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤.

٤- زكار سهيل ، الحملات الصليبية (الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان)، (د:ن: د.م)ن ١٩٨٤م.

٥- عاشور، سعيد، أوروبا في العصور الوسطى ، طبعة القاهرة، ١٩٦١م.

٦- عمران، محمود سعيد ، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٧- عوض، محمد مؤنس ، تاريخ الحروب الصليبية؛ تقديم: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر، رام الله ٢٠٠٤م.

٨- قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية – الدوافع – النتائج)، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

ج. المراجع الأجنبية المعربة:

١- كاهن، كلود ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية؛ ترجمة: أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة ، ١٩٩٥م.

٢- رانسيمان، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس)؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

٣- ماستناك، توماس ، السلام الصليبي (الجماعة المسيحية والعالم الإسلامي والنظام السياسي العربي؛ ترجمة: بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤- بيشوب، موريس ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى؛ ترجمة: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥- أرنس، باركر، ، الحروب الصليبية؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م.

٦- سميث، جوناثان ريلي ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية؛ ترجمة : محمد فتحي الشاعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٧- كانتور نورمان، التاريخ الوسيط، (قصة حضارة: البداية والنهاية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٨- العصور الوسطى الباكرة (القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،١٩٩٣م.

٩- بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة: بشير السباعي، عين للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٠- ديفز، هـ. و، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الحميد حمدي محمود، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩١١م.

١١- رنسيمان، ستيفن، الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٢- ستيفنسن، كارل، الإقطاع في العصور الوسطى؛ ترجمة: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، مصر، د. ت).

١٣- جروسيه١، رنيه، الحروب الصليبية (صراع الشرق والغرب)؛ ترجمة: أحمد أيبش، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٢.

١٤- كينيث سيتون، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: سعيد عبد الله البيشاوي، بين المقدس للنشر، رام الله، ٢٠٠٤م.

د. المراجع الأجنبية:

1- France, John, Victory in the East: A milt ary history of the first crusade, Cambridge university press, Cambridge, 1994,

2- Christopher Tyerman, The Crusades (Avery short introduction oxford university press, New York, 2005.

3- Norman, Housley, Crusades Against Christian their origins and Early development, c. 1000 – 1216,. Crusade And Settlement Smail R.C, peter W. Edbury, university college Cardiff press, Cardiff, 1985.

4- H. E. J. Cowdrey, Martyrdom and the first crusade, Crusade And Settlement Smail R.C, peter W. Edbury, university college Cardiff press, Cardiff, 1985.

5- the crusades, http://www.wikipedia.org.

6- Thomas f. madden, the crusades, Black well publishing, USA, 2002

هـ. الأبحـــــــــــــــاث :

١ - بواعث الحروب الصليبية،

http://www.forums.b-99.com

٢ - تتويج شارلمان إمبراطورا ونتائجه

http://www.halimb.ba7r.org

٣- الدلباني، عبد الله، دوافع الحروب الصليبية،

http://www.alhassanin.com

٤ - دوافع الحملات الصليبية،

http://www.horklhaq.com .

٥ - السرجاني، راغب، الدوافع السياسية والاقتصادية للحروب الصليبية،

http://www.haneh:info

٦- سيف الدولة، محمد، ماهية الحروب الصليبية (الظروف التاريخية والدوافع)

http://www.moheet.com .

٧- الموسوعة الحرة، الفاتيكان

http://www.wikipedia.org

٨- وقفة ورؤية إشرافية حول الحروب الصليبية،

http://www.selamoon.com

و. الموسوعات:

١- البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

٢- المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م.

٤- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥م.